دراسة عمرانية لمحور (باب توما – باب السلام)

تقع الأرض المقترحة بمحاذاة الشريط الشرقي خارج السور الشمالي لمدينة دمشق القديمة ما بين بابين طاعنين في السن (باب توما و باب السلام) و تسمى الفرايين :

و هي محلة بين باب توما و باب السلام خارج السور على حافة النهر (ما بين النهرين)

يرد ذكرها في المصادر التاريخية العائدة للقرون الوسطى ولا بد أنها أقدم عهدا و بالمجمل تتوضع أماكن ورشات الحرف المهنية التي تنتج عنها روائح كريهة أوضجيج في أطراف المدينة .

و كانت هذه المنطقة غنية بالأشجار في مراحلها التاريخية المختلفة لتوضعا ما بين فروع نهر بردى المار في المنطقة و كانت تعتبر منطقة حماية خصوصا لباب السلام لصعوبة الحرب عنده بسبب وجود هذه الأشجار و المياه الغزيرة .

الاسم قديم أطلق على المحلة المذكورة في عهد المماليك لوجود صناعة دبغ الفرو وتحضيره بها و كانت تسمى الجزيرة .

تحولت في أواخر العهد العثماني إلى منطقة مختصة بدباغة الجلود فصارت تعرف بالدباغات .

وفي أيامنا هذه عاد اسم الفرايين ليطلق على المحلة المذكورة من جديد رغم أنها لم يعد بها شيء من صناعة الفرو أو الدباغة فقد تحولت إلى معامل صغير لنشر الرخام و قصه بعد نقل صناعة الدباغة عام 1952 م إلى خارج المدينة من جهة الشرق بين نهر بردى جنوبا و الداعياني شمالا.

يتألف محل الدباغة الذي كان يستخدمه الصباغون من طابق أرضي متين مشيد من الحجر الغشيم المغطى بطبقة من الطين و يتواجد الطابق الأرضي في هذه الورشات في كثير من الأحيان على مستوى أدنى على شكل سراديب أرضية تحتوي على أحواض مائية لنقع الجلود و إشباعها بالماء و يقوم فوق الطابق الأرضي مستودع مكشوف و مؤلف من عدة طبقات و هو مؤلف من هيكل خشبي لا يبدو ثابتا و مقاوما و جدرانه الخارجية عبارة عن ألواح خشبية رفيعة و تتألف الأرضيات التي يمكن السير عليها من ألواح خشبية متباعدة بحيث تتوفر منافذ لحركة تيار الهواء و تتألف التغطية من سقف قليل الميلان مغطى اليوم بألواح من التوتياء و بعد فقدان حرفة الدباغة أهميتها انتقل الصباغون إلى هذا الحي فهم يعلقون الخيوط المصبوغة في القسم العلوي من المبنى لتجفيفها أي أنهم يستخدمون المبنى بما يناسب وظيفته السابقة.

و يروي كل من البابين قصصا عاشها في فترات و عهود مختلفة :

باب توما : يقع في الجهة الشمالية الشرقية من السور ,و هو من الأبواب السبعة الأصلية للمدينة القديمة , بناه الرومان و يميل الظن إلى أنهم شيدوه على أنقاض الباب اليوناني و لا يمكن الجزم بذلك , و أن هذا الأخير ربما أقيم على أنقاض الباب الآرامي الأسبق ,كذلك لا يمكن التأكيد أو النفي .

ويعتقد نسب الباب منذ عهد اليونانيين إلى الزهرة (فينوس) ,و عند دخول الرومان سوريا عام 64 م بقي في عهدهم على نفس النسب لأنهم كانو يعبدون ما كان يعبده اليونان ,ثم صارت دولة الرومان مسيحية في عهد الإمبراطور قسطنطين و جرت هذه الدولة على خطة الوثنيين في أبواب المدن الكبرى فحولت الأسماء من وثنية إلى مسيحية لتذكارات قديسين و أعياد و منها (باب توما) الذي خصص لاسم الرسول (توما) و أقامو باسمه كنيسة و ديرا إلى جهة الشمال منه .

و لما فتح العرب دمشق سنة 14 هـ في أيام (هرقل) امبراطور بيزنطة دخل عمرو بن العاص من هذا الباب تحت إشراف خالد بن الوليد و طالت مدة هذه الحرب و الحصار شهرين و عشرة أيام و كان الروم في بدئها يخرجون من الباب و يواقعون العرب و حتى لزمو المدينة و انحصروا فيها و اقتصر دفاعهم على الباب و جهتيه حتى هزموا.

أما في العهد الأموي فقد شيد عبد الله بن دراج كاتب رسائل معاوية على هذا الباب برجا عرف باسم (برج الدراجية) و لا أثر له اليوم .

و عند الحصار العباسي لدمشق سنة 132 هـ نزل على هذا الباب (حميد بن قحطبة)

و في العهد الأتابكي النوري قام السلطان نورد الدين محمود بن زنكي(الملقب بالشهيد) بترميمه و السور و أقام عنده مسجدا و رفع فوق الباب مئذنة كما فعل في بقية أبواب دمشق ,و في العهد الأيوبي أعاد الملك الناصر داوود بن الملك المعظم عيسى بناءه بعد أن تشعث و نقش على عتبته من الداخل نصا مؤرخا فيه : (أمر بعمل هذا الباب و السور مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنياو الدين سلطان الإسلام و المسلمين محي العدل في العالمين سيد الملوك و السلاطين

داوود بن المولى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بتولي العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن قرشي في سنة خمس و عشرين و ستمائة) .

وفي العهد المملوكي أمر نائب الشام (تنكز) بإصلاح باب توما فشرع فيه و جعل ارتفاعه عشرة أذرع, وجددت حجارته و حديده في أسرع وقت و نقش على عتبته من الخارج : (بسملة – جدد هذا الباب المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا و الدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد المنصور قلاوون الصالحي أعز الله أنصاره و ذلك بإشارة المقر الأشرفي العالي المولوي الأميري الكبير الغازي المجاهدي المرابطي المثاغري المؤيد الممالكي المخدومي السيفي تنكز الناصري كافل الممالك الشريفة بالشام المحروس عز نصره و ذلك في العشر الأول من ربيع الآخر سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة).

أزيل المسجد الأتابكي في العشرينيات من القرن الماضي عند تنظيم المنطقة , كما أزال المئذنة المهندس الفرنسي إيكوشار في الثلاثينيات و قبيل الحرب العالمية الثانية تنفيذا لمخططه في اعادة تنظيم منطقة باب توما.

و يبلغ ارتفاع الباب الحالي 438 سم و عرضه 322 سم و سماكته 7 أمتار و هو مغطى بقبوة مدببة متجهة نحو داخل المدينة .

باب السلام : يقع على السور الشمالي للمدينة القديمة , بني في عهد نور الدين الملقب بالشهيد في العهد الأتابكي و كان يسمى باب السلامة من باب التفاؤل لأن هجوم الأعداء على المدينة من ناحيته كان متعذرا فوراءه كثير من الأشجار و فروع نهر بردى.

وهو من الأبواب المستجدة في العهود الإسلامية فلم يكن في موضعه باب روماني قديم و هو اليوم أجمل أبواب مدينة دمشق القديمة ,له قوس عربية مدببة بديعة ,غير أن بناءه الحالي لايعود إلى زمن نور الدين فقد جدده في العهد الأيوبي الملك الصالح أيوب عام 641 هـ و ما تزال عليه إلى اليوم كتابات من العهدين الأيوبي و المملوكي , و في الأربعينيات من هذا القرن قامت مديرية الآثار بترميمه.

وقد خلط بعض المؤرخين العرب و الأجانب بينه و بين باب الجنيق و يقال أنه كان مسدودا في فترة من الفترات .

تستقر فوق الباب عتبة طويلة اتخذت من عمود روماني نقش فيها النص الكتابي المؤرخ لهذا التجديد : (بسملة – جددت عمارة هذا الباب السعيد في أيام مولانا الملك الصالح السيد الأجل العابد المجاهد المؤيد المظفر المنصور نجم الدنيا و الدين سلطان الإسلام و المسلمين منصف المظلومين من الظالمين قاتل الكفرة و المشركين ماحي البغي و الفساد و دامغ المفسدين في البلاد معز الإسلام غياث الأنام ركن الدين مجد الأمة علاء الملة سيد الملوك و السلاطين أيوب بن الملك الكامل بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أمير المؤمنين بتولي العبد الفقير يعقوب بن ابراهيم بن موسى سنة إحدى و أربعين و ستمائة).

تتميز الأرض بمداخلها المحددة تماما بالبابين و مدخل شمالي على شكل جسر يعبر النهر الشمالي و هي منطقة معزولة تماما بين البابين في الشرق و الغرب و بين النهرين في الشمال و الجنوب.

تتضمن الدراسة المحور الواصل بين البابين (باب توما و باب السلام) و السور المكشوف الواقع بينهما و تفعيل المنطقة بمجموعة من الوظائف ذات الطابع السياحي الثقافي و التي تشغل الأرض الواقعة شمال المحور بإعادة تأهيل جزء و الاستغناء عن جزء آخر و إعادة البناء فيه و بالأرض الفارغة في الغرب بفعاليات تخدم الوظيفة الثقافية السياحية و تخدم السور الواقع جنوبها و ذلك بحسب نتائج دراسة الوضع الراهن و على ضوء نتائج الاستبيان المرفق.

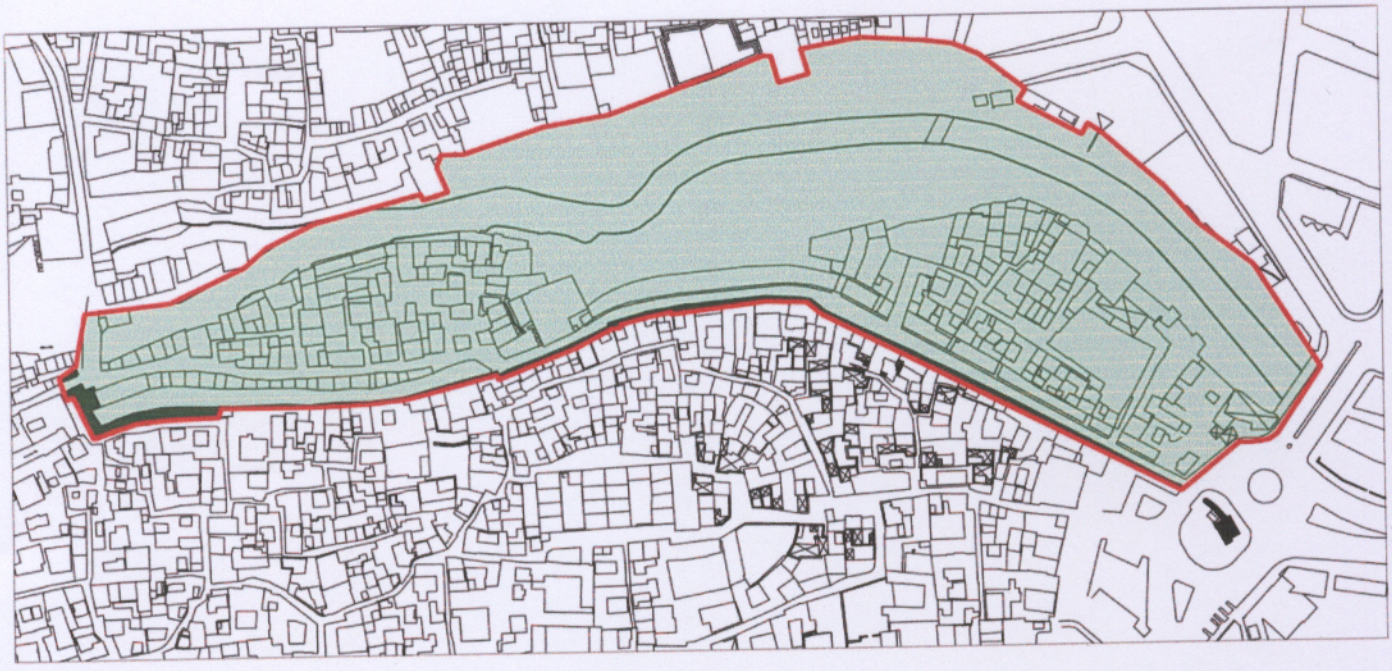

- مساحة الأرض 4.3 هكتار
- مساحة النسيج الشرقي 7500 متر مربع
- مساحة النسيج الغربي 6000 متر مربع

و تتضمن المساحة المدروسة ثلاث مناطق :

المنطقة الشرقية A : و هي أبنية ذات ذات و ظائف سكنية و ساحات صغيرة ضمنها و هي منطقة اعادة التأهيل و بوظائف مختلفة بحيث قسمها الشرقي يعاد تأهيله بوظيفة تجارية للجذب من ساحة باب توما و القصاع:

1- سكن و سكن سياحي
2- وظيفة ثقافية تجارية مطلة على الساحة كنقطة جذب للموقع

المنطقة الوسطى B : و هي الأرض الفارغة و توظف بوظائف ذات طبيعة ثقافية بأبنية متعددة:

- محترفات و سوق للصناعات اليدوية
- مركز ثقافي متحفي توثيقي (للمدينة القديمة)

المنطقة الغربية المتبقية C : و هي مجموعة من الأبنية تتضمن ورشات و سكن و مستودعات

قسمها الغربي يعاد تأهيله بوظيفة تجارية لجذب المستخدمين من شارع الملك فيصل و من منطقة باب الفراديس أو من دمشق القديمة
و القسم الشرقي
- مساكن
- مقاهي

إضافة إلى امكانية خلق ساحة مشاة مقابلة لباب السلام .

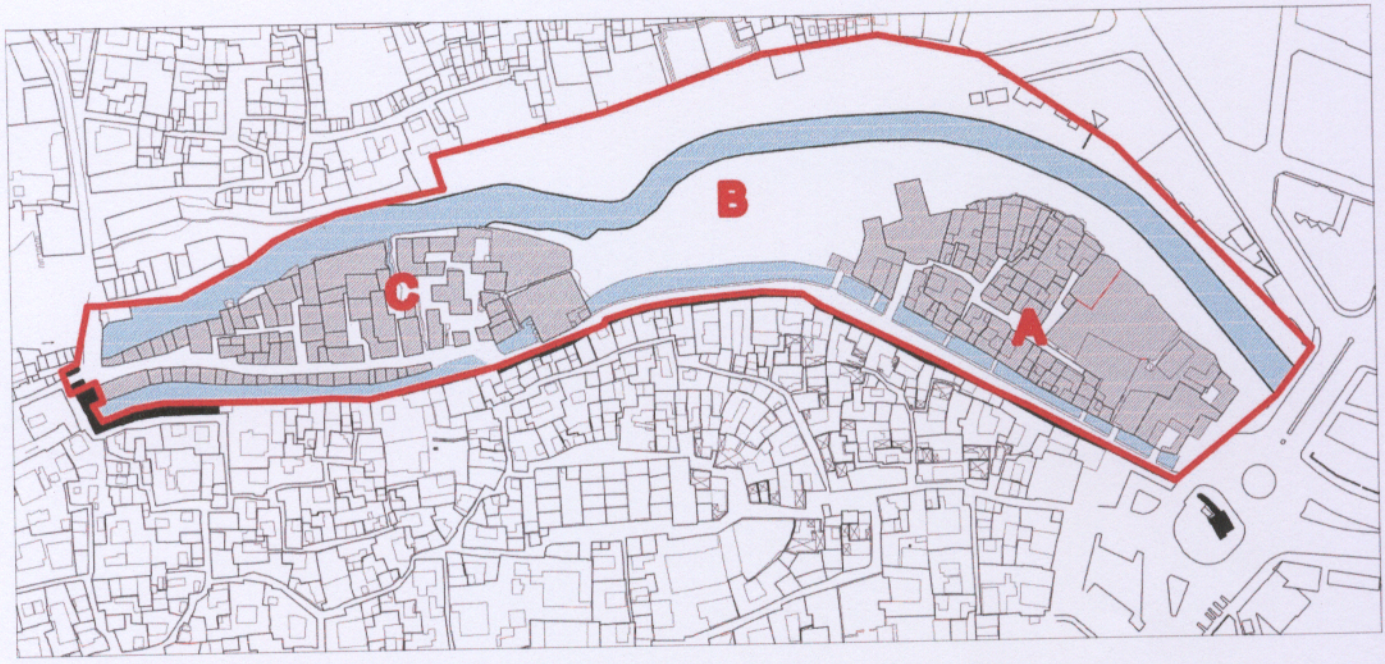

المراجع :

- أبواب دمشق و أحداثها التاريخية – الدكتور قتيبة الشهابي

- معالم دمشق التاريخية – الدكتور قتيبة الشهابي , أحمد الأيبش

- دمشق تطور و بنيان مدينة مشرقية إسلامية – دوروتيه زاك ,ترجمه للعربية قاسم طوير

- موقع اكتشف سورية (www.discover-syria.com) – الأوس للنشر

- دراسة تحليلية و مداخلة ترميمية للعقار رقم 62 المنطقة العقارية باب السلام – م . وائل جراقي

- دباغة للجلود في منطقة الفرايين القرن التاسع عشر توثيق وترميم واعادة توظيف - م. مرام دياب

- دراسة تاريخية صحية وترميمية لمصبغة في العقار رقم 49 من المنطقة العقارية باب السلام في شارع الملك فيصل بهدف تأهيلها- م. سامر زيدية